

الأنساق الثقافية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة-جيم لسارة النمى أنموذجا-
cultural patterns in the contemporary algerian feminist novel - c by sarahnims as a model

منال بورقوبة¹

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية-جامعة البليدة2

em.bouragouba@univ-blida2.dz

تاريخ النشر سبتمبر 2025	تاريخ القبول 2025/06/21	تاريخ الإرسال 2024/04/17
-------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

لا مرأى في أن الرواية من أكثر الأجناس الأدبية التصاقا واحتكاكا بالواقع والأكثر تعبيرا على جلّ التحولات الدائمة في المجتمع فهي صورة تثير جملة من الإشكالات الفكرية، والهواجس الثقافية التي تشغل المبدعين والمثقفين، وباعتبار أنها لا تخلو من ترسبات ثقافية يستشفها التمرد الدلالي الذي يأبى الخطاب الأدبي التصريح به، فإننا نتغيا من خلال هذه الدراسة للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرّة التي فاضت بها رواية "جيم" لسارة النمى. من نسق ديني، نسق سياسي، الأنوثة والذكورة، تمثلات الجسد.

وتأسيسا على هذا؛ تروم هذه الدراسة البحثية الموسومة بـ "الأنساق الثقافية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة- جيم لسارة النمى أنموذجا- إلى تسليط الضوء على مجموعة من الأنساق الثقافية و التي أخذت منحى مخالف لما عرفته الكتابات النسوية "النسائية" في السنوات السالفة، ورواية جيم لصاحبها سارة النمى مشحونة بالموضوعات التي اعتنى بها النقد الثقافي في مجال الدراسات النسوية، لهذا ارتأيت في دراستي هذه إلى الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي أهم الأنساق الثقافية التي تشكلت منها رواية جيم؟

وللإجابة عن الإشكال المطروح اعتمدت في دراستي على مسارين هما: مسار نظري نروم من خلاله تقديم ماهية الأنساق الثقافية وكيف يكون النص في ظل هذا النوع من النقد حادثة ثقافية تمخضت نتيجة إلحاح الأنساق المضمرّة، ومسار تطبيقي نروم من خلاله استكناه الأنساق التي تضمنتها رواية جيم.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية ، الرواية النسوية، جيم، سارة النمى.

¹منال بورقوبة em.bouragouba@univ-blida2.dz/manalbouragouba@gmail.com

Abstract:

There is no doubt that the novel is one of the literary genres that is most closely linked to reality and most expressive of most of the permanent transformations in society. It is an image that raises a number of intellectual problems and cultural concerns that preoccupy creative people and intellectuals, given that it is not devoid of cultural sediments that are revealed by semantic rebellion that literary discourse refuses to express. Through this study, we seek to reveal the implicit cultural patterns that emerged in the novel "Jim" by Sarah Al-Nims. From a religious pattern, a political pattern, femininity and masculinity, and representations of the body.

Based on this, this research study entitled "Cultural Patterns in the Contemporary Algerian Feminist Novel - Cem by Sarah Al-Nems is an example - aims to shed light on a group of cultural patterns that took a direction contrary to what was known in feminist writings in previous years, and the novel Cem. Its author, Sarah Al-Nims, is charged with the topics that cultural criticism has focused on in the field of feminist studies. That is why I decided in this study to answer the following problem: What are the most important cultural patterns from which the novel Jim was formed?

To answer the problem at hand, I relied in my study on two paths: a theoretical path through which we seek to present the nature of cultural patterns and how the text, in light of this type of criticism, is a cultural incident that resulted from the insistence of the implicit patterns, and an applied path through which we seek to uncover the patterns included in Jim's novel.

Key words: Cultural patterns, the feminist novel, Jim, Sarah Al-Nems.

*** **

مقدمة:

استحوذَ النصُّ السردي على ذائقة المتلقين وذلك لهيمنتته على النقد الأدبي الحداثي، سيما جنس الرواية باعتباره المتقصد للبنية الحداثية، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى النظرة النقدية المعاصرة التي تحولت من قراءة النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق الثقافية، ومن ثم انبلج النقد الثقافي وكانت النقلة المعرفية التي اتسمت بميلاد الدراسات الثقافية، وطرأت بذلك تغيرات على مستوى القراءة والتأويل حيث أضحت قراءة النصوص تستهدف الأنساق المضمرّة التي يُحيل بها النص.

رحبت مرحلة ما بعد الحداثة بالنقد الثقافي، وذلك بكسر وتقويض هيمنة المناهج البنائية واهتمامها بكل ما هو مُهمش وتجريد الخطاب من حلتها الجمالية ليكتسي حلة ما وراء النصّ وحقيقته وما يهيمن عليه من قوانين فكرية، وذلك ما يدفع النقد الثقافي يُنادي بحتمية التواصل بين الأنساق ليعرض صور ثقافية واجتماعية وتاريخية تعمل على عولمة العمل الأدبي ليُفصح عن رؤاه الثقافية.

1. ماهية الأنساق الثقافية:

اتسمت مرحلة ما بعد الحداثة بالتوسع النقدي، حيث تضمنت ما وراء الأدبية إلى العلوم الإنسانية والدراستات الثقافية التي اخترقت المجال لتكوين النقد الثقافي *cultural criticism* متخذة من النص أداة كاشفة عن أنظمة ثقافية، ومن هذا المنطلق تجدر الإشارة إلى الأنساق الثقافية باعتبارها أحد مرتكزات النقد الثقافي، فهي تحمل على اختلافها وتنوعها في النص الأدبي أهمية بالغة في إنتاج الدلالة على أساس أن هذه الأخيرة تُعبر عن نظام ثقافي منغرس في ثنايا النص، فالأكيد أن الدلالة النسقية –والتي دعا عبد الله الغدامي على إضافتها – والجمل الثقافية لا تظهر بشكل واضح في النص لأنها تنتج عن قصيدة المبدع.¹

إذ نجد الناقد لوري لوتمان y.lotman يُعرف مصطلح "النسق" وذلك من خلال مقارنته الثقافية أنه "دالا على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الاجتماعي بصورة عامة".² فالأنساق من منظور لوتمان تُحدد الخصائص الكلية والشاملة للثقافة الإنسانية، وذلك عن طريق تتبع تطورها وتحولاتها عبر العصور.

ويُضيف الناقد المغربي عبد الفتاح كليطو في تعريفه للأنساق الثقافية في مؤلفه الموسوم "المقامات السرد والأنساق الثقافية" بأنه: "مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيقية، تفرضها في لحظة معينة من منظور الوضعية الاجتماعية التي تقبلها المؤلف وجمهوره".³ وقد أعرب عبد الله الغدامي في تعريفه للأنساق ضمن مشروعه النقدي بأنها "أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما"⁴ ويرى كذلك أن النسق "يتحدد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد"⁵ وانطلاقا مما سبق يُمكن القول: أن الأنساق الثقافية هي أنساق تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص، ويكون لها دور في توجيه عقلية الثقافة وذائقها ورسم سيرتها الذهنية والجمالية لأن النقد الثقافي مشروع في نقد الأنساق والنسق مرتبط بكل ما هو مُضمَر.

أما يوسف عليّات فيتخذ من النسق الثقافي أداة لتعريف كوامن النص وسبر أغواره، جاعلا "الأنساق المتمركزة في البنية النصية أهمية كبيرة للكشف عن تشكلات هذه الأنساق ووظيفتها المؤسسة للمعاني والرموز والدلالات"⁶ ليستقرئ النصوص في سياقاتها الاجتماعية والتاريخية والسياسية ورصد دلالاتها المتنامية وفك شفراتها المضمرة، التي تقوم على إستراتيجية لا متناهية تسمح بتشكيل أنساق أخرى مُغايرة.

ومن هذا المنطلق أضحى الاهتمام بالأنساق الثقافية لدى الروائيين الجزائريين سبيلا فنيا يخلق نمط كتابة مُغاير، وبعدا معرفيا يُراهن عليه المبدع لطرح أسئلة ترتبط بالواقع وقضايا المعقدة، وهذا ما جعل الخطاب الروائي الجزائري يظفر بالازدواجية وذلك نتيجة انفتاحه على الأنساق الثقافية التي أكسبته خصوصية الرواية وحليتها، وتجعله آلية من آليات التجديد، فالرواية عامرة بتمثلاتها الثقافية التي تعكس الأنساق الكامنة في المجتمع وتنقل أبعادها وتبرز تجلياتها لسرد تاريخ الأمة وتعبّر عن تجاربها وثقافتها وحياتها.⁷

ولهذا تعدّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على الأنساق الثقافية نظرا لحجمها، وتمتعها بإمكانية الرّد والوصف والتحليل، كما يُمكنها محاكاة الواقع الثقافي وتمثيله على الصعيدين الأيديولوجي والتخييلي.

2. تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية جيم لسارة النمّس:

"جيم" رواية من تأليف الروائية الجزائرية سارة النمّس، صدرت عام 2019 عن دار الآداب بيروت، تسرد فيه الروائية أحداث الرواية، بمعظمها، والتي كانت في الجزائر، وتتمظهر على المستوى الوقائعي في رحلة بين مدينتي وهران و تمنراست ، وفي علاقة قصيرة دامت عشرين ساعة، آلت بعد ذلك إلى الانفصال بين بطلي الرواية "لمين" و "جيم".

1.2. ملخص الرواية:

تُقسم سارة النمّس روايتها إلى ثلاثة أسفار...السفر الأول والاعترافات الأخيرة، السفر الثاني الجحيم الذي حسبناه جنة، العشاء الأخير... تسرد ثلاث قصص تختلف شخصياتها حيث تبدأ الروائية بسرد قصة البطل "لمين" ثم تنتقل للحديث عن قصة "جيم" ثم تعرض قصة "جهاد" والد جيم.

تستهلّ الكاتبة روايتها بالصدفة الروائية التي جمعت الشخصيتين اللذان يمثلان المحور الأساسي في الرواية وهما "لمين" و "جيم" اللتين تختلفان، وتتقاطعان في نقاط كثيرة. أمّا الاختلاف فيتجلى، في الشكل والطبع والمضمون، ويتمظهر في فقر لمين، بطل الرواية، ودماثة منظره، وانسحاقه، من جهة، وفي جمال جيم الوحشي، ودلالها، وتكبرها، من جهة ثانية. وأمّا التقاطع فيكمن في أنّ كليهما غريب، تائه، مذنب، متألّم، هارب ومتجرد من ماضيه إلى زمن آخر يرتاح فيه من ثقل الذنوب، في حالة البطلة، أو فار من مكانه إلى مكان آخر لا ناس فيه ليعاقب نفسه، كما في حالة البطل.

يُمثل سقوط دفتر جيم في طريقها إلى الحافلة وعثور لمين عليها بداية وقائية للعلاقة العسيرة بينهما، حتى إذا ما جلس إلى جانبها في الحافلة كان ذلك سببا لإذابة الجليد بينهما، ويُشكلُ اعترافه بقتل والدته سببا ليُثير فضولها ويذيب البعض الآخر فتقرر جيم الإنصات إلى حكايته حتى يُتعبه الحكي ويتعبها الإصغاء، فيقران تبادل الأدوار لتحكي هي ويصغي هو. وهكذا، تتطور العلاقة بينهما خلال الرحلة، وتمر في محطات من المشاركة والتعاطف والتفهم، ما يتمظهر، ذات لحظة، في تأبطها ذراعه ووضع رأسها على كتفه.

نحن إذاً إزاء حكايتين اثنتين، متشابهتين ومتباينتين في آن واحد، تتمخض كلُّ منهما عن شخصية غريبة، مذنب، متألّم، يتيمة، هاربة من واقعها، تحتاج إلى أذن تُصغي لها، الأمر الذي يلفيه كلُّ من البطلين في الآخر، على اختلاف وتنوع درجة هذه الحالات بينهما. فيبدوان

كمريضين نفسيين يفضي كلُّ منهما باعترافاته الجسيمة إلى الآخر لعلَّه يُخَفِّف من ثقل الإحساس بالذنب. هذه العملية تتم في الرواية بالتعاقب بين الحكايتين بحيث يسرد لمينفي البداية عن ذنبه في موت أمه، وأنه السبب في وفاة أصدقائه، وسبب موت وردة صديقتها، وتعبه هي بعد الانتهاء من حكايته، أو بالتقاطع بحيث تتسَرَّب شذرات من حكاية كلِّ منهما إلى حكاية الآخر خلال قيامه بعملية الحكى. والمفارق، هنا، أن لمين الذي كان يزرع تحت وطأة ما يعتبره ذنباً ارتكبها ومعاناة عاشها يكتشف أن ما ارتكبه وعاشه لا يُعَدُّ شيئاً بالمقارنة مع حكاية "جيم" وذنوبها ومعاناتها⁸.

وباعتبار أنَّ الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة استطاعت الإفصاح عن مكان من البوح الأنثوي، وإماطة اللثام عن جلِّ أشكال الإقصاء والهيمنة التي تُمارسها السلطة البطريكية على المرأة، ساعية بذلك مواكبة العديد من مستجدات الساحة الأدبية والثقافية على الصعدين العربي والغربي، ولعلَّ أبرز الروايات الجزائرية التي تميزت بهذه السمات رواية "جيم" باعتبارها نواة إبداعية تمكنت الروائية أن تنطلق من خلالها وتستغلها؛ بُغية محاكاة الواقع العربي المأزوم دينياً وثقافياً وسياسياً، لتبلغ بها أعلى دَرَجَات الوعي بالكتابة المُبتكرة لأنماط فنية غير معهودة ومتفردة تبوح بواسطتها عن مواضيع يندر الخوض فيها لكونها تحاول استنطاق المسكوت عنه من الثالوث المحرم المتمثل في الدين السياسة والجنس، وسنعرض فيما يلي جملة الأنساق الثقافية المُضمرة في رواية جيم.

2.2. اشتغال المحذور الديني في رواية جيم:

شغل الخطاب الديني مساحات واسعة في متن الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة، باعتباره مرآة عاكسة للثقافة الجزائرية ومُشخصاً للمنظومة الفكرية التي ينتهجها أفراد المجتمع، الذين يفسحون للدين مجالاً واسعاً في حياتهم كتعبير عن الالتزام والاستقامة، كما يُعدُّ الدين المقياس الأكثر دقة لأخلاق و آداب المجتمع، والمحذور الديني في الرواية هو "المساس بقداسة الدين، وكل ما يمت له بصلة من قريب أو بعيد، بمعنى أنه الأمور التي لا يجب التحدث فيها تصريحاً، أو تلميحاً، أو إعلان ممارستها، أو القيام بانتهاكها"⁹.

فسعت بذلك الروائيات إلى اختراق المحذور الديني بُغية إنتاج خطاب مُغاير للذائقة العربية والمجتمع، كون الكتابة ليست مُمارسة لغوية فقط، بل لها علاقة وطيدة بالمجتمع من حيث كونها ممارسة اجتماعية، فاللغة حسب قول نورمان فاركوفا Norman Fairclough "جزء من الحياة الاجتماعية لا يُمكن اختزالها، وبينها وبين عناصر الحياة الأخرى علاقات منطقية"¹⁰ فمن خلال هذا الطرح نتحدث عن المحذور الديني العقائدي والذي يُقصد به جملة المحظورات الدينية التي تتعلق بالمعتقدات وهاته الأخيرة هي ما تنعقد عليه النفس، وما تسرد في مكنوناتها ويختلج في خواطرها "وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذ مذهباً وديناً يدين به"¹¹.

بالنسبة لرواية "جيم" نجد الروائية سارة النمى تعرض فكرة المحذور الديني العقائدي والذي يكون محله القلب، وما تنطوي عليه النفس، ويمكن مداراته، كالإلحاد مثلا الذي لا يُعرف على الإنسان إلا إذا صرح به، حيث يظهر الإلحاد في رواية جيم في العديد من النصوص والتي نذكر منها:

قول جهاد: "لست متدينا... لا أصوم رمضان... لا أعترف بالقرآن كتابا سماويا.. ولا بالكُتب الأخرى"¹² وتُضيف جيم في حديثها عن والدها جهاد: "تغيرت مُعتقداته الدينية كليا، وما عاد يؤمن بالله، بل وأجبرني على الكُفر به أيضا... كل الأديان بالنسبة إليه كانت خرافات غيبية من اختراع الإنسان... وذلك الله ليس سوى وهم اختلقه الإنسان ليُبَرِّر وجوده ويحتمي به من ضُعبه".¹³

فالاعتقادات هي التي تتعلق بكيفية العمل؛ مثل اعتقاد ربوبية الله، ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة¹⁴ فنكران هذه اليقينيات، وعدم الاعتراف بها، يعدّ محظورا دينيا، فالمُلحدون والمُشككون بيوم القيامة، وحقائق مثل وجود الجنة والنار، والثواب والعقاب؛ لا محالة في المحذور العقائدي في الديانات السماوية، وعلى رأسها الإسلام.

ثم تتحدث الروائية سارة النمى عن المحذور الديني المادي والذي يُمثل سلوكيات الفرد وما يصدر عنه من تصرفات وأقوال وأفعال تكون في جملتها ظاهرة للعيان، لما كانت هذه التصرفات ليست إلا ترجمة وإفصاحا لما تنعقد عليه النفس جاءت في المرتبة الثانية، فالمحذور الديني المادي إذن هو جملة السلوكيات المخالفة لما نص عليه الله عز وجل في كتابه سواء بنص صريح أو ضمني،

ومن بين هذه المحظورات تذكر الكاتبة شرب الخمر والذي يُعدّ من المحرمات التي حرمها الدين الإسلامي ونهى عنها، وحظر استهلاكها، وإن كان ذلك يخص كل الديانات ونذكر قوله تعالى في تحريم الخمر "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (90) "¹⁵.

ويظهر شرب الخمر في نص الرواية وذلك في بعض نصوص رواية جيم "أتجرع الشراب سيء المذاق"¹⁶، "زجاجات كحول فارغة"¹⁷ بعد ذلك تذكر سارة النمى الزنا والتي تعدّ من المحرمات ويظهر ذلك في قوله تعالى: "الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ" (2) "¹⁸. فتحريم الزنا لم يقتصر على جنس الأنثى دون الذكر وإنما الحكم يشملهما الطرفين، وتُظهر الروائية هذا في العلاقة التي كانت بين لمين وصديقه وردة والتي انتهت بانتحار وردة

سايرت الرواية منذ نشأتها كل التحولات الاجتماعية والسياسية في العالم، بل وشاركت في صنع وبلورة رؤيا الرأي العام، ولهذا لم تكن الرواية الجزائرية بمنأى عن التطورات الحاصلة في الوطن، حيث ظهرت مجموعة من الأسماء الجزائرية التي سخرت أعمالها الروائية لفضح وتعريه السياسة الاستعمارية، لتتحول فيما بعد لرصد الوضع السياسي بعد الاستقلال الذي عارض الإيديولوجيا السائدة ثم انتقلت لتصوير المشهد المروع الذي عاشته الجزائر في العشرية السوداء المرحلة الدموية التي تمثل أخطر مرحلة في تاريخ الجزائر، لهذا انصب جهد الروائيين الجزائريين في تصويرها والتنقيب عن بواعثها، ومن هذا المنطلق تناولت سارة النمى النسق السياسي داخل خطابها الروائي المنبعث من تيمة العنف المتوغلة في حياة الجزائري، ولهذا نلفي هذا النسق واضحا ومرتبيا بأحداث القصة. فقد مثلت الروائية لهذا النسق بسردها لبعض الوقائع نذكر منها:

حديث البطل لمين عن موت والده مذبوحا من طرف جماعة إسلامية... فيقول للبطله جيم: "أنت لم تعيش في الجزائر خلال سنواتها الدامية، عشر سنوات كاملة من الحرب الأهلية، نزلنا فيها دماءنا حتى ما عدنا نعرف من يقتل من"¹⁹.

"التفجيرات التي استهدفت الأسواق والمحطات"²⁰ المجازر التي كانت تمحو قرى بشيوخها وأطفالها وحيواناتها، قرية كاملة يتم تصفية مكانها..."²¹ قرطوفة تضررت كثيرا من الحرب بسبب طابعها الجبلي الوعر الذي كان وكرا للجماعات المسلحة"²².

من خلال هذه الأسطر نجد الروائية تحاول أن تعود بالمتلقي إلى فترة العشرية السوداء التي تمثل مرحلة عاشتها الجزائر بعد الاستقلال، وقد حازت هذه الأحداث جزءا من أحداث الرواية والتي أثرت سلبا على نفسية بطل الرواية "لمين" حين قُتل والده مذبوحا من طرف المتطرفين الإرهابيين.

4.2. الأنوثة والذكورة:

ينشأ المجتمع بالعلاقة الأصلية التي تكون بين الذكر والأنثى ومنهما تنبثق التنظيمات الاجتماعية الأخرى، وقد نشأ من تلك التنظيمات الأسرة كوحدة اجتماعية صغرى يترأسها الذكر الذي يعدّ الركيزة الأساس لتلك المنظومة بينما تكون الأنثى هي المعاون له.

وشاعت هذه الحالة الثقافية في المجتمعات بالاعتماد على ما يتميز به الذكر من مواصفات مُعينة، مثل القدرة على ترجيح العقل على الجانب العاطفي، على عكس الأنثى التي تتمتع بالأحاسيس والعاطفة، فضلا عن تفاوت البنية والتي تميز الذكر بالقدرة البدنية أكثر من الأنثى والتي تمكّنه من تحمل أعباء العمل... إلا أنّ تلك الحالة الثقافية أصابها الانشقاق، والتشظي خصوصا في المجتمعات العربية، وبعد

إرهاصات عدّة رست على نوعين الأول منها تعامل مع الأنثى بفوقية، وكان نتيجة هذا العامل وخيمة، وفي رواية "جيم" نجد سارة النميس حاولت التصدي إلى هذه الحالة الثقافية والتي كانت على نسقين ثقافيين هما:

الأول وهو نسق تهيمن به السلطة البطريكية بامتياز، فيُبيح لنفسه فعل ما يريد حتى وإن كان يخص أمور محرمة في الدين الإسلامي، بينما يُعيب على الأنثى ذلك هذا ما يظهر في الثقافة العربية التي ساهمت في إنتاج النسق الذكوري المتعظم، وولدت له ذات مُتعالية ترى فوقيتها على الآخر / الأنثى وهذا ما يظهر في نصّ الرواية في علاقة لمين بوردة.

فحينما جاء الإسلام مُحللاً بعض المسائل ومحرماً أخرى فإنه لم يخص بذلك جنسا دون آخر، فحين حرم الزنا كان الحكم واضحا ويشمل الجنسين الذكر والأنثى، ولكن شاعت ثقافة في المجتمع العربي تُبيح للرجل بعض الأفعال كشرب الخمر من مُنطلق أنه رجل لا يُعيبه شيء، بينما يكون هذا محرماً على الأنثى كما نصّ دين الإسلام على هذا؛ وعليه تكاد أغلب المؤسسات الثقافية تبجح وتبارك لرجل بعض الأفعال ومن هذا المنطلق نجد في رواية جيم ملامح النسقية الثقافية الفوقية في شخصية البطل لمين ودونية الأنثى تجسدت في شخصية وردة.

ويظهر نسق التساوي بين الطرفين وذلك انطلاقاً من ثقافة المساواة بين الجنسين فالإنسان يُمكن أن يُصيب ويخطئ سواء أكان ذكراً أم أنثى، ويُظهر الذكر جانبه الإنساني وتعاطفه مع الآخر/الأنثى بواسطة تمظهر سرد الإنسانية في رواية "جيم"، نتلقى رسالة ثقافية وهي تقبل الذكر أخطاء الأنثى بعقلانية أكثر، وذلك نظراً للظروف الاجتماعية التي تُحيط بتلك الأنثى، ويظهر هذا في اعترافات جيم للمين بقتلها لوالدها جهاد، وعلاقتها مع الشباب مُقابل المال... واعترافات لمين لجيم بقتله لأصدقائه الثلاثة، وأنه سبب وفاة والدته، فمن خلال هذا نلاحظ أن كلا الطرفين تقبل أخطاء الآخر.

5.2. تمثيلات الجسد في رواية جيم:

تحتل تيمة الجسد بوصفه إنتاجاً فنياً؛ فضاءً جمالياً في سرديات ما بعد الحداثة، التي اعتبرت الجسد نسقاً من تنويعات الاشتها، والاستجابة للحميمية... لهذا هيمن "الجسد" بوصفه رمز الهوية على أغلب الدّراسات النسوية التي نشطت بدءاً من السبعينيات من القرن العشرين؛ بغرض نقد الأنساق الاجتماعية والثقافية والتحرر من ممارسات السلطة البطريكية، والتراتبية الذكورية السائدة في مختلف المجتمعات عبر العصور²³.

في الثقافة عموماً وفي الأدب خصوصاً، يحوز الجسد كذات سردية متحركة مخاطبة، وكموضوع للخطاب بحضور يفترض فيه أن يخترق الجسم البيولوجي، أي أنّ على الكاتب والمتلقي في ميثاقهما الثقافي، أن يتجاوزا القيمة المادية والأخلاقية للجسد - كما هو منصوص عليه في المجتمع- إلى قيمة فكرية تمنحه صبغته الثقافية وتكسبه قيمته الأدبية في الفن ثم توظيفه فيه.

ومن هنا فإنّ توظيف الجسد في الرواية يعني ذلك جملة القيم الثقافية والحضارية وتجريده من القيم البيولوجية التي تحصره في الواقع، وفي رواية "جيم" نلّفي حضور مُغاير للجسد على عكس حضوره في أعمال سردية نسوية أخرى، وذلك نتيجة اختلاف طرق وأساليب توظيفه في سياقات أخرى وهذا ما أطلق عليه الناقد عبد الله إبراهيم مُصطلح "نصوص المُتعة" والتي تجسدت في العديد من الخطابات السردية النسوية المعاصرة، فالبرغم من أنّ بطلّة الرواية "جيم" مُحاصرة بالعديد من الرجال الذين تعاملوا مع جسدها جنسياً وليس شبقياً مع جسدها الميت، وهذا رغم جاذبية جسد البطلّة جيم إلا أنّها لا تحبذ إظهاره ولم تعامله كجسد للاحتفاء الأنثوي ودافع للإثارة، والعناية الجمالية، كنقطة قوة تكتسبها جميع النساء، وهذا ما نلاحظه في قول البطل "لمين" في وصفه لجيم: "تبدو مثل شبح حقيقي بالكاد تبدو امرأة، وليس فيها شيء من علامات الأنوثة، شابة نحيفة ترتدي ملابس واسعة كلها سوداء، كأنها بلباسها الواسع، لا تريد أن تُفصح عن تفاصيل جسدها"²⁴

فمن خلال هذا تسعى البطلّة لإخفاء جسدها وإضمار مفاتها بُغية رفض كل محاولات الإعجاب والاشتهاء بها، فإنّ فقدّ الجسد شغف صاحبه والعناية به، اضمحلت صفته التي تصبح لا تتعدّى خانة الجسم البيولوجي، لكن الروائية تعرض جسد البطلّة "جيم" حين جعلته يدخل في علاقات مُتعددة مع ذاتها ومع الرجال الذين تعاملت معهم ومن بين هذه العلاقات نذكر (علاقة جيم بوالدها جهاد، علاقتها مع زوجها الأول لمين، زوجها الثاني التركي -رجل الأعمال-) ومن هنا يُمكننا القول أنّ جسد جيم يُعدّ مُعطى وجودي، يظهر لها برؤية مُغايرة ومخالفة عما يراه الآخرون كموضوع لديهم، مما يجعله في خانة ثقافية، وحالة وجودية كاملة تحدّد لصاحبها مكانته في الكون من خلال الرؤيتين المتناقضتين المتباينتين التي تحيطان به: والتي تظهر في قول والدها جهاد حين اعترف في الأخير أنه ابتغى جعل جسد جيم بؤرة إشكالية وجودية لذاتها وغيرها.

ويذكر جهاد تناقضات حول جسد ابنته كفكرة وبؤرة إشكالية وجودية لذاتها وغيرها ويظهر هذا في قوله: "حاولت أن أمنحك تربية جيدة، أعلمك كل ما تعلمته في الحياة لتكوني الأنثى الجميلة والأنيقة والمتقفة، الأنثى التي تهر أيّ إنسان يُقابلها، ولم أدرك بأنني أنجبتُ مسخاً من جيناتي، انظري إلى نفسك كم أنت قبيحة! ملامحك على الرغم من جمالك مُظلمة، لأنها لا تعكس القبح الذي داخلك، سيدوب أمام فنتك أي رجل، وتلك الفتنة سرعان ما ستدوب أيضاً وتختفي، عندما يكتشف من أنت من الداخل"²⁵.

تجعل هذه الصورة الجدلية البطلية جيم في مفترق متناقضات عالمها الداخلي الدميم والخارجي الفتان، في صورة قبح مكسو بالجمال.. فجيم لا تمتلك جسدا بالمفهوم البيولوجي في متن الرواية، وإنما تملك تمثيلا له اجتماعيا وثقافيا، وحضاريا يربط بين صورته كذات ميتة عند صاحبته، وصورته المتباينة كموضوع حي وجذاب عند غيرها، والتشكيل الفريد الذي جسده الرواية من خلال هندسة شخصيتها جسديا ونفسيا، هي أنها تعاملت مع تيمة الجسد كفكرة يتحدد وجودها الفصامي بعلاقاتها المضطربة بين حقيقتها كذات وقناعتها كموضوع حيث تنوعت وتعددت أوجه ظهور الجسد في الروايات الثلاثة: الأولى تسردها جيم عن نفسها، والثانية يسردها لمين، والثالثة يرويها جهاد والد جيم. ومن خلال هذا يُمكننا القول أن نص الرواية نص مفتوح وقابل لتأويل فكريا وفلسفي

6.2. نسق اللغة:

تعتبر اللغة من أهم الأنساق الثقافية الظاهرة في متن الرواية، وذلك لاستطاعة المبدعة وتمكنها من مزج عدّة أشكال لها، فإلى جانب اللغة العربية الفصحى الغالبة في الرواية، تمكنت سارة النميس أيضا توظيف صور أخرى للغة لعل أهمها التعدد اللغوي من خلال التمازج والتقابل الواضح بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية، وبعض العبارات والكلمات الأجنبية (الفرنسية، الإنجليزية) وذلك لكون "السرد حوار اللغات واللهجات كما يلح النقد الحديث على ذلك"²⁶؛ فالسرد منح للكاتبة القدرة الفعلية على إدراج المستوى الجمالي اللغوي الذي أضفى على رواية "جيم" بُعدا فنيا حداثيا فتح أمام المتلقي آفاقا واسعة لتأويل. ومن بين أبرز مظاهر توظيف الروائية للهجة العامية الجزائرية التي دارت بين البطل الرواية وهو السارد الأول "لمين" نرصدها في الآتي:

"القليط"²⁷ "يعطيك الرهج"²⁸ كما وظفت الروائية اللهجة القبائلية باعتبار أن عائلة جيم من أصول قبائلية فكان جهاد ووالدته يتحدثان اللهجة القبائلية ونرصدها بعض العبارات منها:

"أزول"²⁹ وهي كلمة تستخدم لتحية وتعني أهلا وسهلا.

"جهاد يوساد ساخام"³⁰ وتعني جهاد جاء إلى البيت.

"آندات جيم"³¹ يسأل جهاد عن مكان تواجد ابنته جيم.

نلاحظ من خلال ما سبق توظيف الروائية للهجتين القبائلية ولهجة الغرب -وهران- إلى جانب الفصحى وبهذا يكون التعدد اللغوي بارز في هذه الرواية وذلك من خلال الازدواج الذي حصل بين اللغة العربية واللهجة العامية، واستعمال الروائية سارة النميس اللهجات المحلية سواء اللهجة الوهرانية أو القبائلية لم يأت اعتباريا، بل عن قصدية ووعي تام لتقريب اللغة الدارجة وربطها بكيان الروائي كنسق ثقافي أبرز العنصر السوسيوولساني للهجة الدارجة في الجزائر، وهذا يعود بالفائدة على اللغة لأنه يعمل على تشييد صوتها، حيث يقول

باختين Bakhtin في هذا السياق: "التهجين القصدي الموجه نحو الفن الأدبي هو إحدى الطرائق الأساسية لبناء صرة اللغة، ويجب أن ندقق أنه في حالة التهجين فإنّ اللغة التي تضيء (عادة تكون نسقا من اللغة الأدبية المعاصرة) تتخذ طابعا موضوعيا إلى حد ما، لتصبح صورة، وكلما طبقت طريقة في التهجين في الرواية بطريقة واسعة وعميقة... كلما اتخذت اللغة المُشخصة والمُضيئة طابعا موضوعيا لتتحول في النهاية إلى إحدى صور لغة الرواية"³² وإضافة إلى اللغة العربية الفصحى والعامية، نجد حضور اللغة الأجنبية الفرنسية و الإنجليزية في طيات الرواية، ومن أمثلة ذلك:

"je suis très désolée" ³⁴ "la beauté sauvage" ³³ "place d'arme" ³⁵

"it'sokay" ³⁷ "happy birthday" ³⁶

من خلال استخدام الروائية لعدّة لغات تداخلت فيما بينها وهي اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية والإنجليزية واللهجة العامية. وبهذا نستشف أن نسق اللغة قد لعب دورا هاما وفعالا في الرواية فقد شكلا محورا رئيسا محركا للأحداث، فاللغة في هاته الرواية تعدّ إحدى الأنساق الثقافية التي جاءت مُحملة بالذات الأنثوية ذات الروائية التي استطاعت من خلالها التعبير عن ذاتها وانفعالاتها وآرائها من خلال استخدامها لظاهرة التعدّد اللغوي الذي أضاف جوا من الألفة والحميمية عبرت به الكاتبة عن أبطالها.

الخاتمة:

وما يُمكنني قوله في الأخير أنّ الخطاب الروائي نص مفتوح تتشابك وتتضافر فيه جلّ السياقات الثقافية والاجتماعية والإيديولوجية والدينية، باعتباره النواة المتضمنة للثقافة التي انبثقت منها الأنساق وكانت بمثابة الثمرة الناتجة عن التفاعلات الحاصلة ذات الطبيعة الاجتماعية والثقافية، ومن جملة النتائج المتوصل إليها نذكر ما يلي:

- استطاعت الأنساق الثقافية في ولوجها إلى متن الرواية أن تُضفي تكامل وظيفي يكسب النصّ الروائي جمالية خاصة مُستمدة من حركة المُجتمع، ممّا أكسبه صفة تجريبية، تسعى لتجاوز المألوف إلى ما هو غير مألوف.
- تنوعت وتباينت الأنساق الثقافية في رواية جيم بين الكشف عن المسكوت عنه (الدين، السياسة، الجنس) تيمة الجسد، الأنوثة والذكورة ونسق اللغة.
- أجادت الروائية سارة النمى من إثراء خطابها الروائي في روايتها "جيم"، وذلك بتوظيفها لمُعظم الأنساق الثقافية التي أسفرت من خلالها عن هويتها وانتمائها الحضاري والثقافي.

- رامت الروائية الكشف عن المسكوت عنه قصد تصحيح الرؤى ومعالجة قضايا، وتصحيح أخطاء تُقترف باسم الدين، وتعريه ممارسات تتخذ منه.

الهوامش:

- ¹ ينظر: العمر بوزهرة- مهدية ساهل، الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 02، 2021، ص 284.
- ² ضياع الكعبي: السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، المغرب، ص 08.
- ³ عبد الفتاح كليطو: المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، المغرب، ص 08.
- ⁴ عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، لبنان، بيروت، ص 77.
- ⁵ المرجع نفسه، ص 66.
- ⁶ يوسف عليما: جماليات التحليل الثقافي- الشعر الجاهلي نموذجاً- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص 15.
- ⁷ فريدة نوي: تجليات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة "الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي أنموذجاً"، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، باتنة، الجزائر، مجلد 2، العدد 1 مارس 2020، ص 63.
- ⁸ <https://www.independentarabia.com>
- ⁹ شمري أحلام: تمظهرات المحذور الديني في روايات آسيا جبار، مجلة المعيار، مجلد: 26، عدد 3، 2021، ص 1146.
- ¹⁰ نورمان فاركوفا: تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: د طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، ديسمبر 2009، ص 19.
- ¹¹ الفحطاني سعيد بن علي بن وهف: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، 2008، ص 119.
- ¹² سارة النميس: جيم، دار الآداب بيروت، 2019، ص 59.
- ¹³ الرواية، ص 140.
- ¹⁴ أحلام شمري، تمظهرات المحذور الديني في روايات آسيا جبار، ص 1149.
- ¹⁵ سورة المائدة، الآية 90.
- ¹⁶ الرواية، ص 07.
- ¹⁷ الرواية، ص 10.
- ¹⁸ سورة النور، الآية 02.
- ¹⁹ الرواية، ص 37.
- ²⁰ الرواية، ص 37.
- ²¹ الرواية، ص 37.

²²- الرواية، ص 38.

²³- جميلة بكوش: معالم النقد الثقافي في الجزائر، دار خيال للنشر والترجمة، 2021، ص 128.

²⁴- الرواية، ص 18.

²⁵- الرواية، ص 221.

²⁶- صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، المدى للنشر والتوزيع، ط1، دمشق- سوريا، 2003، ص 154.

²⁷- الرواية، ص 12.

²⁸- الرواية، ص 102.

²⁹- الرواية، ص 68.

³⁰- الرواية، ص 68.

³¹- الرواية، ص 68.

³²- فريدة نوي: تجليات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة " الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي أنموذجا"، ص 73.

³³- الرواية، ص 11.

³⁴- الرواية، ص 20.

³⁵- الرواية، ص 24.

³⁶- الرواية، ص 171.

³⁷- الرواية، ص 165.